حِمَارُ بَيْتَ لَحْم

«لا تَصلُحُ لشيء –قالَ مالِكُهُ-،
لا تَجني حتّى ثَمنَ القَشّ الذي أَضَعُهُ لكَ.
يَجِبُ عليَّ أن أبيعَك، "جِلدًا للطبول"،
ولكن أين أجِدُ من يَدفَعُ مبلغًا تافهًا من النّقود؟».

انحَنَى الحمارُ ذليلاً،
أُذُناه الطّويلتان احمرَّتا من الخجل،
وبدأ يبحثُ عن مَهرَبٍ في أحلامِه،
التي كانت أحلامَ حمارٍ فقيرةً:

العثورُ على العشبِ الطّازجِ في المذود
والاستمتاعُ برؤيةِ سماءٍ مليئةٍ بالنّجوم؛
والشّعورُ بالقليل، القليلِ من المداعبةِ والملاطفةِ
ورؤيةِ يدٍ من غَير سَوطٍ يَضرِب.

في يومٍ من أيّامِ كانونَ الأوّل، مالِكُهُ
قام بسَرْجِهِ وذهبا إلى بَيتَ لَحْم.
رُبَّما كان وقتُ الطّبول؟
كان الحمارُ يَنهَقُ من الخوف.

في الطّريق، كان هناك اضطرابٌ كبير،
أحصنةٌ كبيرة وجميرٌ صغيرة.
«مهلاً أيّها الصّديق، نهارُك سعيد، إلى أين أَنتُم ذاهبون؟».
«ذاهبون إلى بيت لحم؛ هيّا، تعالَ معنا!».

كانا كِلاهُما عجوزَين وتَعِبَين،
كانا يتحادثَان طويلاً. فجأة
أصدَرَ البابُ صريرًا، وَظَهَرَ زوجان:
شابَّان، مُرهقَان، ولكن هادِئَان.
كم كانت السيّدةُ جميلةً، يا لِرِقَّة وجهِهَا!
في ذلك الفقرِ وُلِدَ طِفلٌ.

لَفَّتْهُ أُمُّهُ باللّفائِفِ ووضعته
أمامهُما، هناك في المِذوَد.
نَفَخَ الثّورُ، نَفَخَ الحمارُ الوديع:
كان بحالٍ جيّدةٍ ذاك الطّفلُ وكانَ يبتَسِم.

أَحَسَّ الحمارُ بِغَصّة في حلقِه
وأَصبَحَ خَطْمُهُ مبلّلاً من البكاء:
لمستْهُ يَدٌ قويّةٌ ولطيفة،
كَلَّمَهُ صوتٌ رقيقٌ وواضح:
«مُبارَكٌ أنت! أنت تُحافِظُ على طفلِي،
الذي كان سيموتُ من البردِ، من دونك».

أصابَتْهُ حالةٌ من الحنان والرِّقَّة،
سَمِعَ غِناءً، رأى فوقَ الباب
نجمةً مُشِعّةً قد أطلَّت برأسِها
وكان قلبُه يقفز، بالحُبِّ مُشتَعِلاً.